أديب صعب

مملكتي ليست من هذا العالم

دار النهار للنشر

للشاعر

أجراس اليوم الثالث، شعر، بيروت، ١٩٦٩
طبعة ثانية، بيروت، ١٩٧٠

دار النهار للنشر
بيروت ١٩٨١

قصائد المجموعة

مَنْ جَرَّ عَلى شعبي هَذا الوَيل؟

مَن جرّ على شعبي هذا الويل؟

« ألا عَقْلَ لعمّال الاثم هؤلاء؟
الذين يأكلون شعبي أكلَ الخبز، دونَ أن يذكروا الربّ ».
(المزامير)

I

نيسانُ سيّدُ الشهورِ،
أوّلُ الربيعِ
سيّدِ الفصولِ،
يحملُ الشمسَ على أجنحة الغَمامْ.
يولدُ كلَّ عامْ
في زَهَرِ الليمونِ واللوزِ وعطرِ المرجْ.
يَخْرجُ من بذارْ
مزَجَها في الأرض غيمُ السماءْ.
يسكن في الماءِ وفي التراب والهواءْ
بقيّةٌ من ثلجْ،
بدايةٌ من نارْ.

نيسانُ شهرٌ ليس كالشهورْ.
نيسانُ وعْدُ العمرِ، عمرُ الوَعدْ،

خريطةٌ تخطّ للأيّامْ
تاريخَها، فَقَبْلهُ أو بَعدْ.
لكنّه في الكُنْه يبقى واحداً نيسانْ،
سمّيْتَهُ تموزَ أو كانونْ:
أُغنيَةً قديمةً يقرأُها العاشقونْ
في غابةِ الألوانِ في تنهُّد الأغصانْ ـ

سوف يكون للربيعِ وقتٌ،
وللخريفِ وَقْتٌ،
وللشتاءْ.

وسوف يأتي الصيفُ في سَحابٍ
كالنار بين الأرض والسماءْ.
مُرّي على صمتيَ، وآمنحيني
شيئاً من البكاءْ،
بُكاءِ من يَفْرَحُ، منْ يكتشفُ القَداسَهْ
في كلّ شيءْ.
وآفْرحي ثمّ افرحي

أيّتها الأرضُ الّتي
لا تعرفُ اليَباسْ.

II

حانَ عيدُ الظهورِ، هلمّوا
كلّكم أيُّها الواقفونْ
في فَضاءِ الرجاءِ، آنْتَظرتم زماناً
تحتَ سَقْفِ الرجاءْ.
ها هو العيدُ جاءْ،
جاءَ عيدُ الظهورْ.
إغسلوا حزنكم بالضياء وأعْيُنكم بالزهورْ.

في الجبالِ مررْنا
لم نَجِدْ نبعَ ماءْ
يتفتّقُ بين الحصى والصخورْ.
في الدروبِ الأليفة حيثُ خَطَطْنا خُطانا
سوسناً وقصائدَ،
حيثُ الْتقينا أحبّاءَنا، وزَرَعْنا

وَرْدَ أحلامنا والحنينْ،
لم نجد غيرَ شوكٍ وريشِ طُيورٍ
يتصاعَدُ منها هَباءْ
في هَواءٍ حَزينْ.
فركعْنا
فوق أشواكها وقَرَعْنا الصدورْ
تحتَ عَيْنِ السماءْ
حيثُ كانت بلادُ النبوَّةِ، بَوّابةُ الأنْبياءْ،
وقرعْنا الصدورَ، قرعنا رِواقَ السماءْ،
عَلَّ رَعْداً يُزَلْزِلُ، غَيْماً يجيبْ.
غَيْرَ أنَّ الصدى عادَ من جَبَلٍ موصَدٍ
في فَضاءٍ رَهيبْ.

وقَصَدْنا دُروبَ المدينةِ،
حيثُ تركنا السفوحْ
تتثاءَبُ في رئةِ الموجِ،
حيثُ تركنا سُطوحْ
يتنفّسُ منها الحَمامْ،

ونوافذَ يضحك منها الصغارْ،
يَخْلقون كلاماً بأجسادهم،
يَبْدَأون كلامْ،
أين منه كلامُ الكبارْ.
وعَبَرْنا دروبَ المدينةِ
قبلَ آنْسدالِ الظلامْ.
وَيْحَ أعْيُننا! ما نَرى؟
ليس غيرُ كلابٍ تَنوحْ،
وحَمامٍ يُحَوِّمُ فوقَ حطامْ،
حاملاً شَعْرَ طفلٍ
خَضّبتْهُ جراحٌ،
غبّرتْهُ ركامْ.

وعَبَرْنا رُكامَ المدينةِ نحو زَوايا،
وَقَفْنا،
أوقَفتْنا هياكلُ عظميّةٌ
لم تمتْ بَعْدُ، كانتْ
أُمّهاتٍ. تَطَلّعْنَ:

هل بين هذي الجُموعْ
قاتلُ آبْني ؟
إنْ تكنْ أنتَ ،
رُحْماكَ هَبْني الخَلاصْ .
عَلَّ من لم يخلِّصْ بصومٍ
أو صَلاةٍ ، يخلّصُنا بالرصاصْ .
وسمعنا عَويلَ صغارٍ تَجوعْ :
أينَ أُمّي ؟

وتراءى لعينيّ موتى كثيرونَ
كانوا يسيرونَ في شارعٍ مظلمٍ ،
في طريقٍ طويلْ .
وَحْدَهُ الموتُ وَحَّدَهم : قاتلاً وقتيلْ
حين ضاقتْ بهم طُرُقاتُ الحياةْ .

الحياةُ موتٌ والنهارُ ليلْ ،
والغِنا بُكاءٌ والدواءُ داءْ .
يَجْرفون شَعْبي جَرْفَ السيلْ
دونَ أنْ يذكروا رَبَّ السماءْ .

آهٍ يا ليلُ! وهل سَيَطولُ الليلْ؟
من جَرَّ على شَعْبي هذا الوَيلْ؟

وتراءى لعينيّ ضَوْءٌ سَحيقٌ وصَوْتٌ عميقْ
للّذي جاءَ يوقظنا من سُباتِ القرونْ.
والّذي غَرَسَ النخلَ كي يأكلَ الآخرونْ،
والّذي عَبَرَ النارَ كي يَشْرب الآخرونْ،
والّذي ماتَ في الثلجِ كي يَدْفَأَ الآخرونْ...
كانَ آخِرَ ضَوْءٍ وماتْ.
وأتى بَعْدَهُ أدْعياءُ خَلاصْ
بحديدٍ مُحمّى، رَصاصْ،
ألرَّصاص المخلِّص من لعنةٍ لَفَظَتْها الحياةْ.
آهٍ يا ليلُ! وهل سَيَطولُ الليلْ؟
من جَرَّ على شَعْبي هذا الوَيْلْ؟

III

أَدخلُ المدينَهْ،
أعبرُ الزوايا،

والظلامُ ينحني على الساحاتْ .
الدروبُ صمتٌ ،
والبيوتُ صمتٌ
خانقٌ مخيِّمٌ على الأمواتْ .
ألّذين كانوا
يَصْنَعونَ موتاً
صاهرينَ في مياهِهِ الأحزانْ .
سَقَطوا وماتوا
كُلُّهم وكانوا
يسقطونَ دونَ أنْ يَروا نيسانْ .

IV

قلتُ : فَلْأرحلْ عن الناسِ . . .
ففي هذي المدينَهْ
ليس للعاشقِ ، للمتعَبِ ، للبائِسِ بَيْتٌ .
ليس إلاّ نُزَلاءٌ ومنازِلْ
زَيّنوها بثُريّاتٍ ثَمينَهْ ،

ورسومٍ وتماثيلَ ثمينَهْ ،
غَيْرَ أنّ النورَ لم ينزلْ عليها
نورَ من يَمْنَحُنا الأيّامَ والأحلامَ ،
من يَمْزجُ في ماءِ الجداولْ
فضّةَ الأنْجُمِ .

فَلْأَرحَلْ . ففي هذي المدينَهْ
تَحْملُ الأشجارُ أحْجاراً ،
تَفورُ الأرضُ بالديدانِ في كانونَ ،
لا يَظْهَرُ نيسانُ على وَجْهِ المياهْ .

ليس إلاّ تاجرٌ يَفْتَحُ فاهْ
مُجْهِزاً في حَلَكِ الحرب
على فلْس اليتامى والأراملْ .

قُلْتُ فَلْأرحلْ . ففي هذي المدينَهْ
عَبَدوا الموتَ إلهْ .

رَجَموا بعضهمُ البعضَ
بما سمّوهُ إيماناً وربّاً وصَلاهْ .

أُسقطي يا تينَةَ العارِ، اَسْقُطي .

لم يَبْقَ في صدرِكِ شيءٌ
غيرُ غصنٍ هَرِمٍ
لا يَعْرِفُ الزهْرَ ولا يُنْمي الثمارْ،
وشفاهٍ هَشّةٍ تَضْحَكُ لليأْسِ ،
لآلامِ الصغارْ.

٧

وأقومُ أرحلُ عن ديارْ
لم يَبْقَ لي فيها رُؤىً تُعْطي النهارْ
لوناً . ولم يَبْقَ انتظارْ
لمواسمٍ تأتي ولا لمجيءِ عيدْ .

وأقومُ أرحلُ صَوْبَ نورٍ
كم أنا عَنْهُ بَعيدْ ،
متذكّراً سقراطَ ، لكنْ ما أَراهُ
ليس جَهْلي بل خَطاياي الرهيبَهْ .

وأظلُّ أَعبرُ في طريقٍ
أخْتطُّها بقصائدٍ تَنْصَبُّ ناراً
تُحْرِقُ الأرضَ الغَريبَهْ .

وعَزاءُ بؤسي أنّ قَلْبي لم يجدِّفْ ،
لم يَخُنْ روحاً تَصبُّ عليَّ أصواتاً ،
تَهبُّ كما تَشاءُ .

وأغيبُ في حُلْمٍ جَميلْ ،
سَفَرٍ طويلْ ،
سَفَرٍ دَعاهُ الأنْقياءُ
هَرَبَ الوَحيدِ إلى الوَحيدْ .

هؤلاءِ عُبّادُ الخطيئةِ ،
ليتهم عَبَدوا النجومْ ،
لرأَوا عَناقيدَ السماءُ
تعطي الجميعَ
ولا تفرّقهم غنيّاً عن فَقيرْ .
لرأَوك يا قُدّوسُ

كُلّيَّ القَداسةِ والبَهاءْ ،
متجلّياً في النارِ، في الأنهارِ،
في سُحُبِ الفَضاءْ .

لكنّهم عَبَدوا الخطيئهْ ،
وتسامروا تحتَ الثريّاتِ المضيئَهْ ،
وقلوبُهمْ قد رَمَّدَتْ فيها
مصابيحُ الضميرْ .

هؤلاءِ عُبّادُ الخطيئةِ ،
ليتهم عَبَدوا النجومْ . . .
هذا مسيحٌ لا يموتُ ولا يَقومْ .

أعطني هـَذا الغـَريب

أَعْطِنِي هذا الغَريب

«إنّ يوسف لمّا شاهد الشمس
قد أخفت أشعّتها
وحجاب الهيكل انشقّ لموت المخلّص،
دنا من بيلاطس وتضرّع إليه صارخاً وقائلاً:

أعطِني هذا الغَريب،
الّذي منذ طفولته تغرّب كغريب.
أعطني هذا الغريب،
الّذي بنو جنسه أماتوه بغضاً كغريب.
أعطني هذا الغريب،
الّذي أستغربه ضيفاً للموت.
أعطني هذا الغريب،
الّذي يعرف أن يقري الفقراء والغرباء...
أعطني هذا الغريب،
لكي أُواريه في لحد.
فإنّه غَريب،
لا مكان له يسند إليه رأسه...»

(من صلوات الجمعة العظيمة)

I

هويّتي وَجَدْتُها في هُوَّةٍ
هَوَتْ عليها كلماتُ الناس من سنينْ
(وكنتُ طفلاً) ،
رَدَمَتْها كلماتُ الناسْ
بشَفَةِ الآثامِ أو بأحْرُفِ اليَباسْ .

لكنّني لم أنْسَ من وقتٍ لوقتٍ
كلماتِ أُمّي :

« غَداً تَرى العالَمَ يا حبيبي :
شرقاً وغرباً ،
ذكَراً وأُنثى ،
قصراً وكوخاً ،
خانعاً ضَعيفاً ،
وسيّداً في مُلْكِهِ قويٌّ .

آلكونُ بَحْرٌ ، سَطْحُهُ حَبابٌ ،
وقَعْرُهُ من لؤلؤٍ خَفيٌّ .

فٱنظرْ بعينِ الدّر كي تَراهُ ،
تَرَ ٱلجميعَ واحداً . أُلوفٌ
على طريقٍ بَدْؤها عَذابٌ .
وآخِرُ العَذاب للشقيْ
حين يموتُ : هكذا ، وَحيداً .
فٱنْظُرْ بعينِ الحبّ كي تراهُ ،
تَجِدْ غَريباً لم يَعُدْ غَريباً .
إذا ٱفتداهُ الحبُّ قامَ مَيْتٌ
مضطجعٌ في قبره ، مَنْسيْ .
فإنْ لبستَ الحبَّ يا حَبيبي ،
عَرَفْتَهُ ، عرفتَ كلَّ شَيْ . »

هويّتي وجدتُها في هوّةٍ
(هوتْ عليها كلماتُ الناسِ من سنينْ)
حين تذكّرتُ كلامَ أُمّي ،
وهزّني الحنانُ والحنينْ .
وكنتُ في لندنَ أو أثينا ،

وكنتُ في بيروتْ،
أرى الوُجوهَ أسْوَداً وأبْيَضاً .
أقولُ: هذا من بُيوتِ قَوْمي ،
وذاكَ من غَرائبِ البيوتْ .

لكنّني الآنَ أراهم وأراني واحداً :
مخلّعاً يَزْحَفُ فوق الأرض
لا يَدْري متى
يُدْرِكه الخلاصُ أو يموتْ .

وكان عند برْكةٍ
في بَيْتِ حِسْدا رَجُلٌ
ينْتظر الرحمةَ من زَمانْ .
يَسْألُ كلَّ عابرٍ: أعِنّي .

فيَعْبر الناسُ، ويَبْقى وَحْدَهُ
يَصْرُخُ: من يُعينُني
أنا الشقيَّ؟ ليس لي إنسانْ .

وكانَ في الصينِ وفي اليابانْ،

وكان في إفريقيا ،
وكانَ في مصرَ وفي اليونانْ ،
وكانَ في كلّ زَمانٍ ومكانْ
جَمْعُ مساكينَ يقولونَ :
أعِنّا ، ما لنا إنسانْ .

هويّتي وَجَدْتُها في هُوَّةٍ
وَجَدْتُ فيها ذلك الانسانْ .

II

كان غَريباً ، لم يُلازمْ منزلاً .
يَنْزلُ في الوديانِ ،
يَسْتَرْسلُ في الهضابْ .
كُلُّ مدىً سُكْناهُ :
كلّ ما يُرى ولا يُرى .
الشمسُ شبّاكٌ لهُ ،
والقمرُ الأبوابْ .
يُغْلقها حيناً بستر الليل ،

حيناً بالسحابْ .
ويَرْتَدي زنابقَ الحقلِ ثياباً ،
يَسْكبُ الراحةَ والرحمةَ للناسِ
طعاماً وشَرابْ .
يقولُ : هذا جَسَدي ،
خُذوا ، كُلوهُ كلُّكم . هذا دمي ،
خُذوا اشْربوهُ ، كي نَصيرَ إخْوَةً ،
وَرَثةً للآبْ .

— رُحْماكَ ، أنْتَ ملكٌ ، لا بَشَرٌ .

رحماكَ ، أنْتَ قيصرٌ جَديدْ .
كنّا انتظرناكَ . وكاد شوْقُنا
يُصبحُ يأساً . غَيْرَ أنّ الله لم
يَتْركْ بَنيهِ . أنتَ قيصرٌ جَديدْ .
نَحْنُ جُنودٌ لكَ ، فَلْنُجْهِزْ على أعْدائنا
بالنار والحديدْ .

رحماكَ يا ملكنا الجديدْ .

- جئْتُ إليكم ملكاً .
لكنّ مُلْكي ليس صَولجاناً ،
وليس عرشَ ذَهَبٍ ، وليس من سُيوفٍ
تَصْنَعُها الأيْدي .
وشعبي ما لهُ عَدُوٌّ
سوى خَطاياهُ ، عَدُوّهِ الوَحيدْ .
هويّتي أنّ طريقي الضيقْ .
لكنّني أسلكه بفرحٍ ،
ولا يَضيعُ من رُؤايَ أو أضيعْ .
هويّتي أنّي أُحبُّ إخْوَتي ،
وأنّ إخْوَتي الجميعْ .
هويّتي أنّي أنا الطريقْ .

كانَ غَريباً . فادَّعى
ملْكاً بلا أرضٍ ولا حُدودْ .
مُلْكاً بلا قَصْرٍ ولا
عرشٍ ولا جُنودْ .

وكان فوق رأسِهِ
تاجٌ من الحبِّ، وفوق جسمهِ
ثَوْبٌ من النورِ.
وجَرّوهُ إلى الموتِ كما
تُجَرُّ شاةٌ. جَرَّدوهُ
من ثياب الناس، لكنْ
ما آستطاعوا أنْ يُعَرّوهُ
من الحبّ ولا النورِ.
وكانتِ الحُشودْ
تَصْرخُ: يا لِلعارِ. ما هكذا،
ما هكذا يكونُ سَيّدُ اليَهودْ.

III

ماتَ.
صارَ الغيمُ أنهاراً
وأصواتاً حَزينَهْ
تَحْفر الدمعَ أخاديدَ على

وَجْهِ المدينَهْ .

ماتَ . لمّا شاهَدَتْهُ

الشمسُ مَيْتاً

حَجَبَتْ عنها حجابَ النور . صاحَتْ :

يا إلهي .

وإذا رَعْدٌ على غمر المياهِ

يَغْمر الأرضَ ، يُدَوّي بنحيبْ :

أعْطِني هذا الغَريبْ .

ألّذي جاءَ إلى الدنيا غَريباً .

ملكاً لم يَمْلكِ الأرضَ

ولم يَرْفَعْ قُصوراً .

قال إنّ الملكوتْ

جَنَّةٌ مفتاحُها قَلْبٌ يُحبُّ

ٱلكلَّ ، حُبٌّ لا يَموتْ .

أعْطني هذا الغَريبْ

ألّذي حَلَّ على الموتِ

لكي يعتق جنس المائتينْ ،
ويحلّ العقدةَ المزمنةَ الأُولى ،
لكي ينقذنا ، يوقظَ فينا
ذلك الطفلَ الغَريبْ
ألّذي سَمّاهُ إنساناً ـ إلهاً .

سمّه ما شئتَ . فهو
الشهوةُ الاولى إلى الخَلْقِ ،

إلى الحُبِّ ،
حُقولُ الأرض حُبْلى
بربيعٍ دائمِ الخُضْرةِ ، مَلأى
بالفراشاتِ تَرشّ
الضوءَ بين الجفْنِ والعينِ ،
يَدٌ ، نَبْعُ نَدىً يَحْنو على الأطفالِ ،
يَقْري الجائعينْ .

جَسَدٌ ، مائدةٌ مُدَّتْ على
صَحْراءِ هذا العالم القَفْر الحزينْ .

أعْطِني هذا الغَريبْ .
سأُواريهِ ، أُواري
جسمه الناحلَ في مقبرةٍ ما حَلّ فيها
أحَدٌ بَعْدُ . سَيَغْدو
كُلُّ إنسان ومخلوقٍ لهذا الميْتِ قَبْراً .
عَلَّهُ يَنْهضُ من تلك الصدورْ
ملكوتُ الله والانسان ،
تَنْهارُ القُبورْ .

يا صَديقي ـ
متَّ مرّاتٍ ومرّاتٍ غَريباً .
مثلما جئتَ . غَريباً .
متَّ في وَجْهي وآلافِ الوُجوهْ .
كنتَ حيناً بائساً مرّوا على آلامهِ ،
حيناً غَريباً قَتَلوهْ
إذْ رأوا في جَيْبه جنسيّةً أُخْرى . ولكنْ
لم يروا تحت قناع القومِ والدينِ

وباقي القَسَماتِ المستَعارَهْ،

ذلكَ الوَجْهَ الحقيقيَّ:
غَريبٌ. مائتٌ، مثلي أنا المائتَ.
إنسانٌ كئيبٌ ضَيَّعَتْهُ
كثْرةُ الأسماءِ، أعْيَتْهُ الحضارَهْ.

كنتَ حيناً وَرْدَةً داستْ عليها
أَرْجُلُ العالم. طفلاً يَتَّموهْ.
تركوهُ حاملاً مفتاحَ بَيْتٍ
لم يَعُدْ بيتاً، أحالوهُ ركاماً.
كنتَ وَجْهاً ضائعاً تَحْتَ الوجوهْ.

كانَ لا بدَّ أن تَسْكنَ الموتَ،
أنْ يَسْتضيفَكَ قبْرٌ جَديدٌ
كالضلوعِ الّتي أطلعتْكَ: غَريباً.

كانَ لا بُدَّ أنْ تَدْخلَ القبرَ
كي يصبح القَبرُ رَحْماً
بَعْدَما كانَ رَحْمُ الطبيعةِ قَبْراً

يُنْشىءُ الموتَ، يُخْرجُ منه الجنينْ
كفناً يتحرّكُ حيناً ويَنْهارُ حينْ.

كانَ لا بُدَّ أنْ تَدْخُلَ القَبْرَ
كي تُخْرِجَ المائتينْ.

أيُّها الحاملونَ مفاتيحَ أبوابكم،
والبيوتُ هناكْ.
أيُّها الحاملونَ مفاتيحَ أبوابكم،
والبيوتُ رُكامٌ هُناكْ ـ

كلّكم واحدٌ:
وَحَّدَ الموتُ هذا وذاكْ.

كلّكم غُرَباءُ، ولم تعرفوا أنّكم غُرَباءْ.

ثمّ جاءَ غَريبٌ، ولم تَعْرِفوهُ.
وماتَ غَريباً، ولم تَعرِفوهْ.
ماتَ في كلّ وَجْهٍ
لكي تستردَّ الوُجوهْ
شَكْلَها البكْرَ.

بآسْم الجميعْ
لا ليُكْسِبَهُمْ إسْمَهُ،
بل لكي يَسْتعيدوا بلاداً
ضَيَّعوها نُفوساً
حرّة لا تَضيعْ.

هذه الأرْضُ
وَحَّدَها قَيْصَرٌ ذاتَ يَوْمٍ
بدماءِ الشعوبِ، دماءْ
فَسَدَتْ بَعْدَ حينٍ وصارتْ
وُحولاً وماءْ.

وتوالى ملوكٌ:
قَياصرةٌ وقُصورٌ،
هلكوا كلُّهم، حَيْثُ لم يَعْرِفوا
أنَّ كنزَ الملوكِ الثمينْ
شارعٌ في القُلوبِ،
يَدٌ تُطْعِمُ الخبزَ والحُبَّ للجائعينْ.

هذه الأرضُ عَمَّدها قيصرٌ بالدماءْ ،
فتلاشتْ عُراها
لأنَّ بنيها
لم يكونوا لأسْرارها شاهدينَ ، فماتوا
دونَ أنْ يُصْبحوا شُهَداءْ .

ثمّ جاءْ
أرْضَنا مَلِكٌ لَبِسَ الحُبَّ تاجاً
وحُزْنَ الجميعِ عَلامَهْ .
ذاكَ عَمَّدَها بالرجاءِ ، وماتَ .
وقامَ ،
فَوَحَّدَها بالقيامَهْ .

نكروفيليَا

نكروفيليا

« نكروفيليا » كلمة يونانية مركّبة تعني اشتهاء الموتى.
وهذه الشهوة نزعة مرضية خطرة تدفع صاحبها
إلى مضاجعة ضحيته بعد قتلها.
والقصيدة ذات ايقاع وزني يُستعمل للمرة الاولى
في الشعر العربي الحديث، ومفتاحه « فاعلاتُ ».

بعدما كسا الجبالَ بالثلوجِ
والسهولَ بالمروجِ ،
قال ربي :
قف هنا فأجْعلَ السحابَ
موْطئا لناظريكْ .
ثم كان ظلمةٌ وكان نورُ ،
واشرأبّ من مرابضِ الجبالِ ارزٌ
بعضُه هياكلٌ وبعضُه بَخورُ .
وتَفَتَّحَ الترابُ عن جذورِ
أفْرعتْ هنا شقائقاً وقمحاً ،
وهنا صنَوبراً وسندياناً ،
وهناك لوزاً ،

تولد الفصولُ عندها . لكلٍّ
لونُه وعطرُهُ ،
وكلُّ اخضرٍ فمٌ ينادي :
هذه بلادي .

●

إنْ مَرَرْتَ فوق هذه الدروب يوماً
وتشابكتْ كأنها متاهْ ،
وسمعتَ في شعابها هديرَ رعدٍ
يُقلق السماءَ دونما مياهْ .
ورأيتَ ورقاً بغير عطرٍ ،
أسْودَ العروقِ ، لا حياةَ فيهْ ـ
فَهْو بعضُ شجرٍ عريقٍ
كانت الجبالُ ترتديهْ ،
يوْمَ كلُّ اخضرٍ فمٌ ينادي :
هذه بلادي .

●

ان مررت فوق هذه الدروب . . .هذا
وطنٌ جفاه اهلُه ، ولم يكونوا
لبهائه العظيمِ اهلاً .
جَعَلوا لكل مطمحٍ ضريحْ .

●

قَهَروا اليتيم بأسمِ أحمدٍ ،
وشَهَروا السيوفَ بالمسيحْ ،
والمسيحُ ومحمّدٌ كلاهما شهيدٌ :
« ما الذي دهاكَ ، شعبي ؟
عوضَ الندى سقيْتَني مرارةً وخَلّاً .
وأمتَّني ، رميْتَني الى لصوصٍ
قَسَموا ثيابي
بينهم واطبقوا على ردائي . »

●

ها انا مبعثرٌ هنا ، شريدٌ ،
يرفض الظلامُ غصَّتي وتمتماتي .

كيف تَفْتحُ السماءُ لغريبٍ
بابَها ، وتَعْبر المدى صلاتي ؟

●

كلُّ مائتٍ اخي ، وكلُّ ارضٍ
شَفَةٌ تسبّح الالهَ . . . لكنْ
ليست الحجارُ ههنا مرايا
لطفولتي ، ولا النهارُ وجْهَ اميّ
والنسيمُ صوتَها ،
وليست النجومُ شِعْراً
نُثرتْ حروفُه على دفاتر الليالي .

●

ربّيَ اَطّلعْ من السماء مرةً ، تَعَهَّدْ
هذه المواسمَ التي غرسْتَ ، جَمِّعْ
من قبورها عظامَ اهلي .
واَنْفخ الحياةَ من جديدٍ

في يَباسِها ، وقل لها آسْمعي كلامي :
« ها انا كَسَوْتُ عُرْيَكِ الرهيبَ
عَصَباً ولحماً
وسَكَبْتُ فيه روحاً . »

●

لو تَشُقُّ سُحُبَ الدجى وتأتي
وتُحرِّكُ المياهَ ، تَبْعثُ
الترابَ قَمْحا
والربيعَ بَهْجةً وفِصْحا .

●

وَقَفَتْ مدائنُ الضياءِ تبكي
وَحْدَها ، بلا عزاءٍ :
لو يكون للسماء عينٌ
فترى بكائي .
سُلِبَ الضياءُ من يدي ،

وما حماني

أُمّتي واصدقائي .

●

ما لها العروسُ عَلّقَتْ حِلياً ،

والعريسُ لم يجىء ؟

وجاءَ قومٌ

عَصَبوا جبينَها وقتلوها ،

ثم قطَّعوا ثيابَها وضاجعوها

واحداً فواحداً ، ونَظَموا قصائدَ

الغَرامِ والملاحمْ ،

وهي لا تعي ولا تقاوِمْ .

وَيْحَها العروسُ ! أصبحتْ لقومٍ

يَعْشقون جثّةً بلا حراكٍ

بعد أن يمزّقوا الحياةَ فيها

خَوْفَ ان تصدَّ غاصبيها .

ربّيَ اطّلعْ من السماء ، أشْفِقْ .

لو تَشُقُّ سُحُبَ الدجى وتأتي .

ربّيَ اطّلعْ من السماء وآمْحُ
موسمَ الشقاءِ كي يكونَ فِصْحُ .
ربِّ ، هل يكون بَعْدُ فصحُ ؟

قصــائد ١٩٧٦

قصائد ١٩٧٦

حين زارني الاله

شَدَّني ملاكٌ
بيدي ، وأوقَفَني تحت نورٍ
تحته كتابٌ .

قال : ما تَراهُ
لا يُرى بعينٍ ،
الحروفُ ليسَت
أَلِفاً وباءْ .

الغيومُ حَرْفٌ ،
والنجومُ حَرْفٌ ،
والرياحُ والمدى وصوتُ الماءْ .

ها هنا ربيعٌ
كان وَجْهَ طفلٍ ،
وهنا دُموعٌ
أصبحتْ شتاءْ .

ورجعْتُ . . . صَمْتي
صار بحرَ شِعْرٍ .
قالتِ القوافي :
من تُرى دَعاهْ ؟
قلتُ : من زمانٍ
بدأَ انتظاري
عند بابِ داري ،
فانتبهْتُ حين زارني الالهْ .
وقرأتُ في كتابِهِ أشْعاري .

آخر الطرقات

عَشَراتٌ من الناس مرّوا هنا :
بعضُهم غابَ في غيهبٍ ،
بعضُهم ماتَ ،
والبعضُ ما زال يأتي
في المساء ،
ونشربُ قهوتَنا ،
نتذكّر أين التقينا ،
وماذا فَعَلْنا ،
وكيف افترقْنا ،
وهل بيننا بَعْدُ
أكثرُ من قهوةٍ أو تحيّهْ
تقتضيها لياقاتُنا المدنيّه .

عَشَراتٌ ،
مئاتٌ من الكلماتِ ،
دفاترُ شِعْرٍ ،

رسومٌ،
رسائلُ حُبٍّ.
عَشَراتٌ، مئاتٌ،
محتْ حبرَ معظَمِها السنواتُ،
ولم أَمْحُ حَرْفاً،
عارفاً أنّ ذاك الكلامَ الذي
كان لي أرَقاً وشَتاتْ،
قد يصير عَزائي
في غَدٍ إذْ أكونُ وحيداً
وليس سوى هذه الذكرياتْ.

ذكرياتٌ
غرقتْ غرفتي تحتَها
لِنَقُلْ مُتُّ ذاتَ ضحىً أو مَساءٍ،
فسيأتي ويجمعها الأصدقاء
من حقائبَ مَرْمِيَّةٍ وجَواريرَ
غَبَّرَ أرجاءها النملُ والعنكبوتْ.
سيقولونَ:

تلك رسائلُه ،
ههنا يكمن السرُّ ،
سرُّ القصيدةِ
أو سُّر ذاكَ السكوتْ .
ذكرياتُ الطفولةِ والحبّ والبؤس ، هذي ،
هل تصير بيوتاً
من الشِّعْرِ ،
أم هل تصير بُيوتْ ؟
ولْنَقُلْ كان في ليلةٍ من أرَقْ
أنّني قمتُ ، أوقدتُ ناراً
وأحرقْتُ تلك الرسومَ وذاك الورقْ ،
عندما مّر في ناظريّ طيوفٌ لحبّ جديدٍ .
كيف أَنْقضُ تلك السنين التي
ارتفعتْ في ضلوعي حجارَهْ ؟
كيف أهدم تلك العماره ؟
سأقولُ غداً للحبيبةِ :
إنْ كنتِ حَقّاً تحبّينني ، فخُذيني ،

أيْ خُذي كلَّ شيءٍ، وكوني
بَحْرَ عمري،
حيث تَسْكب انهارَها الذكرياتْ.
ولْنقُلْ: كلُّها طُرُقاتٌ، وأنْتِ
آلْبيتُ في آخِرِ الطُرُقاتْ.

سقراط والمسيح

لو كنتُ في أيّام سقراطَ
لكنتُ واحداً من صَحْبِهِ:
فيدونَ إنْ نسيتَ أفلاطونْ.

لو كنتُ في أزمنةِ المسيحِ
كان أمَلي
أن يصطفيني في عِدادِ شعْبِهِ:
توما إذا لم يكنْ
مُرْقُصَ أو سيمونْ.
لو كنتُ...
لكنْ ربّما
قد كنتُ من بين الذين اضْطَهَدوا
سقراطَ، من بين الذين
صَلَبوا المسيحْ.

(«أتى الزمانَ بنوهُ في شبيبتِهِ»
فلم يُنزْهم، وجئناهُ على هَرَمِ

فسَرَّنا إذْ حَبانا حكمةً . . .)

ألنّاسُ لا يرون في زمانهمْ
غيرَ الذي دارتْ عليه دورةُ القرونْ .
ألناسُ يَنْظرونَ ، لا يرون
سقراط في الأسواقِ ،
والمسيحَ يمشي بينهم ، يَصيحْ .

لكلّ البرايا اعترفتُ

شاعرٌ، ليس لي شاهقاتٌ ودارُ،
داريَ الحُلْمُ والكلِماتُ المدارُ.
مرّةً عند وردة نهرٍ مَرَرْتُ،
وخطوتُ على صدرها وعَبَرْتُ.
فرجعتُ الى قبرها ووقفتُ،
قلتُ شعري: لكلّ البرايا اعترفتُ.

إله الانسان

لم أُومنْ يوماً أنّ الشيطانْ
شيءٌ آخَرْ،
وله جَسَدٌ ناريٌّ،
وله عينانِ مسنَّنَتانِ،
له أسنانْ.
لكنْ حين تعالى
تمثالُ الطين على تمثالٍ وتَفاخَرْ،
آمنتُ بأنّ الانسانَ ـ الشيطانَ،
الانسانَ ـ الذئبَ،
إلهُ الانسانْ.

رثاء

القَمرُ السابحُ في بحرٍ من الغيومْ،
والقمرُ الواقفُ في الشجرْ
يَنْفضُ عنه الماءَ، والقمرْ
مسترخياً على فراش النجومْ،
والغيمُ والغاباتُ والقمرْ،
والنجْمُ والمياهْ ـ
اصابعٌ تشير نحو الله.

ووجهُكَ الملقى
تحت انْهمار الشمسِ والمطر،
بلا حَياهْ،
يشير نحو الله.

بعض من الصلاة

دَعْ هذه الآياتْ
يا راهب الدير لغيري ،
يا صديقي ، لا أخافْ .
فما تسمّيه شرودَ الذهنِ والشتاتْ ،
أنا أُسمّيه اعتراف :
أن نبعث الذكرياتْ ،
مبتسمين لخطايانا وللأحزانْ ،
لأننا جُزْنا مَداها الآن .

بعضٌ من الذكرى صَلاةْ .
بعضٌ من الصلاةِ أن
نحاورَ الشيطانْ .

العودة

ثلاثةٌ ينتظرون عودتي :
أنتِ وامّي والالهُ . . . أنْتِ
تنتظرين جَسَداً وفكرةً : إثنَينْ .
وربّما ارضاكِ واحدٌ
وخَذَلَ الاخرُ رُؤياكِ .

أمّا الالهْ
فهْو يريد واحداً :
لا جَسَداً أو فكرةً ،
بل فكرةً تفتّحتْ في جَسَدٍ .

لكنّ امّي ساهرهْ
تَرْقبُ بالعينيْن :
عَينٌ على ماضٍ ،
عينٌ على آتٍ .
وحين آتي تَسْقُطُ الذاكره .
تضمني ، ولا تقولُ كيف أو من أينْ .

اصوات

سْكوي سكوي سكوي سكوي
سْوا سوا سوا .

أسرابُ حساسينَ تسابِقُ
غيمةَ شمسٍ فوق الغابْ .
ظلٌّ يفترش الاعشابْ .
نَهْرُ الزيتون يَرشّ نَدىً
واللوزُ ضفافْ .
وأنا مستلْقٍ فوق فراشٍ من زهرٍ
والعطرُ لحاْف ،
والشمسُ غيابْ .

سْكوي سكوي سكوي سكوي
سْوا سوا سوا .

شمسُ غيابٍ فوق الغابْ .
ماءُ الشمسِ وشمسُ الماءْ .
غيمٌ يَرْقص في الأضواءْ .

إفتحْ لي أبواب إيابْ
يا حارسَ تلك الابواب .
عَلّمْني أسماءَ العطرْ،
كيف اصوِّرُ هذا السحرْ،
لا كيف بعيني انظرهُ،
بل كيف أراه .

اقبلْني في ملكوتكَ يا ألله .

كنا كلاماً

كنَّا كلاماً .
لكنّ وَجْهَكِ كان البحرُ وُجْهتَهُ ،
وكان وَجْهيَ مشدوداً الى الجَلَدِ ،
والغيمُ بينهما .

وكنتِ بحراً ،
وكانتْ أحرفي مطراً ،
والغيمُ بينهما ،
حتى إذا نظرتْ
عيناكِ نحويَ ، لم يَظْهَر سوى شَبَحٍ
على الغيوم ،
ولم أُبْصِرْ سوى زَبَدِ .

وجه لا يموت

قلتُ: لن يُجْديكِ هذا الانتظارْ.
ربّما يُجْدي، افتكرْتِ،
وانتَظَرْتِ.

غيرَ أنّي ـ وأنا المنتَظَرُ ـ
بشؤوني أَخْبَرُ:

طالبٌ أو راهبٌ أو شاعرٌ،
كلُّها أجنحةٌ ألْبَسَنيها
اللهُ يوماً للفرارْ
من بقايا عالمٍ مَيْتٍ ووجهٍ مستعارْ.

غرفةٌ عمريَ، كانت فوق ظهري،
وأنا أَعْبر سالونيكَ أو لندنَ أو بيروت . . .

غرفَهْ.

وسأمضي صدفةً
مثلما جئتُ الى العالم صُدْفَهْ.

شاهداً كنتُ:
رأيتُ الماءَ يجري
هارباً تحت الجسورْ،
حاملاً أقنعةَ الناسِ وأضواءَ البيوت .
وعرفْتُ
أنّها تأتي تباعاً كي تموتْ .

شاهداً كنتُ .
ولكنّي اكتَشَفْتُ
في زوايا غرفتي نوراً يُحيلُ
الصدفةَ الهاربةَ البلهاءَ شيئاً
ليس يفنيه العبورْ .
واكتشفْتُ
تحت وجه العالم المائتِ
وجهاً لا يموتْ .

أوّل النهار

الرياحُ رحلتْ
وهَدَمتْ بيوتَها الطيورُ،
حين لم تجدْ مع الصباحِ
وَجْهَها على المياهِ،
حيثُ كانتِ الغصونُ شرفةً وغابَهْ،
والنهارُ ملكاً متوَّجاً على سَحابه،
ماشطاً بأخضرِ الغُصونِ
شَعَرَ السواقي.

ليس لي هنا مكانُ.
المياهُ أصبحَتْ رماداً،
ومع الرياحِ رَحَلَ الدخانُ.
والذين كانوا
أصدقاءَ أمَلي، رفاقي،
ضيَّعوا أمَلَهم، ولم يعودوا
أصدقاءَ يأسي.

وأنا هنا وحيدُ .

في المساءِ أرقبُ الصباحَ ،
في الصباحِ أرقب المساءَ . . . بؤسي
وَحْدهُ شهادةٌ على حياتي .

فجأةً يَخْرقُ الظلامَ صوتٌ ،
وأرى قبّةً من النجومْ :
جَرَساً جرساً ترشُّ ضوءاً
وندىً ، وعلى المدى تَحومْ .

ههنا كنتُ قد رسمتُ وجهاً
كان ، دون الوجوه ، لي سَكَنْ
ينحني فوق أضلعي ويبني
برؤاهُ لغربتي وطنْ .

ها هي النجومُ في الشجرْ
وعلى المياه وجْهُها ووجهي
يَقْرآن لغة السهولِ والترابِ والحجرْ .

يَكتبان لغةً تحبّها الجبالُ . . .

أهْوَ حُلْمٌ ؟

لا . . .

ففي رؤاي يَخْفق المدى ،

وفي خطايَ ناري .

وعلى المياهِ وجهها ووجهي

يَكْتبانِ أوَّل النهارِ .

قم يا صباح

كان يكتب فوق المعابر والعشبِ:
هذي بلادي ـ
وردةٌ هجرتْها الرياحْ .
كان يكتب بالدمع فوق المقابر:
قُمْ يا صباحْ .

تائهٌ في البراري، يواري
جثّةَ الذكرياتْ .
هائمٌ، تتراءى له في المدى قَسَماتٌ
تتقدّم نحو خُطاهُ، ينادي:
أصدقائي، أحبّاءَ عمري . ينادي .
فيغيبُ الصدى والوجوهُ . . .
ويَمْضي،
باحثاً عن دواءٍ سوى الموتِ، يَشْفي
من عذابٍ دعوهُ الحياةْ .

أرض جديدة

خُذْ تراباً
بيديكَ وبعضَ حَصىً وزهورْ،
ونجوماً من الماءِ
حين تكون السماءُ بعيدَهْ .

خُذْ بقايا ربيعٍ
كان يلعبُ فيه صغارٌ، وماتوا .
وغبارَ دروبٍ
مَرَّ فوق مَداها صغارٌ، وماتوا .

هذه كُلَّها ـ مُدَّها للحَزانى
زماناً يجيءُ من الحُلْمِ ،
نوراً يُضيءُ،
قَصيدَهْ .
هكذا . . . وأقِمْ من رؤاكَ
فَضاءً جديداً وأرضاً جديده .

نهر نجوم

لقد طالَ ليلُكِ في القبر ، طالَ
انتظاري ، فيا ، يا بلاديَ ، قُومي .
بيوتُكِ ليلٌ ، وأهْلُكِ ليلٌ ،
ولكنّ ليلَكِ نَهْرُ نُجومِ .

الخبز والملح

الخبز والملح

I. البيت

- ١ -

لو لم تكن الأرض أمامي
بسمة طفلٍ ،
شَعْراً أشقر يسرح في الريحِ
سنابل قمحٍ وسلامٍ .

لو لم تكن الأرض رفاقاً يطأون الغدْ
بآسمِ بلادٍ ،
بآسمِ الأجيال اللمْ تولدْ بَعدْ .

لو لم تكن الأرض سديماً بكْراً ،
جسداً بكراً ، نهراً بكرْ ،
أَحفر فيها أصواتي ،
أصواتَ البركان البكرْ .

لو لم تكن الأرض أمامي
ليلاً غضّاً أَزرع فيه أحلامي .

لو لم يَمُتِ ٱبنُ الانسانِ على ٱسْمي
كي أحيا فوق الموتِ، مع الموتِ،
وراءَ الموتْ ـ
لَخَنَقْتُ الصوتْ.

أصواتٌ تَقْرَعُ في رأْسي،
أصواتٌ كانت هَمْساتْ،
تأتي من شرفات الجيرانْ:

مجنونٌ يَكْتب في العتمةِ،
يَسْتنفد أوراقَ دفاترهِ،
يَكتب فوق يديهِ،
على الأبواب، على الجدرانْ.

جدرانٌ؟ لو كنتم جدرانْ
لم أُلْقِ عليكم ظهري حتّى مكسوراً.
لو كنتم...

أصواتٌ تَقْرَعُ في رأسي،
أصواتٌ، أصواتٌ، أصواتْ:

فَلسفْنا الحُبَّ فماتْ .

أُمّي

أُمّي

صلواتي

صلواتي

أيّامي

أيّامي

أملي

أملي

أجفاني الملتهبةْ

أُمّي

أُمّي

كلماتي

كلماتي

أحلامي

أحلامي

أثقالي

أثقالي

أعصابي التَّعِبَهْ

إنْتَصَفَ الليلُ ، تخطّى النصفَ ،
وها أنا في العتمهْ
أُحرِق أَجفاني ، أَنثرها
ناراً ، شمعاً ، دمعاً ، كَلِمهْ .

لو كان الناس، قلوبُ الناسِ ، كقلبي ،
ما همَّ الدنيا ؟
يحرقها الحبُّ وتولد في نار الحبِّ .

أُمّي ، صلواتي ، أيّامي ،
أملي ، أَجفاني الملتهبهْ ،
أُمّي ، كلماتي ، أَحلامي ،
أثقالي ، أَعصابي التعبه .

أَكتب في العتمة يا أُمّي
مغفرةً لخطاياي اللاتي

أحملهنَّ، أنوءُ، ولا من يَسْند ظهري .

الساعات تُدمدِم : نصفُ الليلْ .
لم يبق أمامي ورَقُ .
أجفاني غاباتٌ تحترقُ . . .
نصفُ الليلْ .
نصفُ الليلِ ؟
سأكتبُ، أكتب حتّى الفجرِ
مغفرةً لخطايا قَصَمَتْ ظهري .

ـ ٢ ـ

رَمّد الليلُ بأهدابي، وعيناي حجارْ،
لا أرى غيرَ بيوتٍ غَبّشَتْ،
صارت غُبارْ .

ألّذي كان على الشرفة نامْ .
والّذي كان يَقيسُ الشارعَ المتعَبَ نامْ .
وأنا وحديَ، أُحصي
خُطُواتِ الليل، أقتات الظلام .

ليس لي عينٌ تنام،
والقذى حَجَّر في هذي وهذي:
غصّةً في الخبز والملحِ
وسمّاً في الطعامْ.

كيف لي أنْ أُرجعَ البيتَ رُكاماً،
ثمّ أبْنيه غداً فوق الركامْ؟

والقذى حَجَّر في عينيّ والليلُ ترمّدْ،
ويدي شُلّت فما تَلْمع في العتمةِ فرقد.

ليت لي أَحلامَ طفلٍ
فأرى، أَسمع أنّاتِ الصليبْ
ألّذي فوق وسادي.
ذاكرٌ: كان يناديني بآسْمي،
ومتى كنتُ أُناديه، يُجيبْ.

رَبِّ، ما عاد سوى لونٍ وصورهْ.
أعطني نعمةَ أَن أُبصره كالأمسِ،
أو أُبصر غَيرهْ.

أعطني نعمةَ أنْ أبكيَ ، أن أغسلَ
أحزاني وعاري .
حَجَرٌ عينايَ ، قلبي حَجَرٌ ،
عَلَّ الدموعْ
تَحفرُ الأحجارَ ، تَسْتخرج من طيّاتها
الينبوعَ ، تَسْتنبت أزهارَ الضلوعْ .

هذه القطعانُ ، يا ربِّ ،
ٱلّتي من أجلها
أَحْرقت أيّاميَ ،
دَنّست كلامي ،
كلّها ماتت وصارت
دودةً تنخر لحمي وعظامي ،
غصّةً في الخبز والملح
وسمّاً في الطعامِ .

كيف لي أن أرجع البيت ركاماً ،
ثمّ أبنيه غداً فوق الركامِ ؟

هذه القطعانُ ، يا ربّ ، ومن ذا ؟
ولمن أَحْرقت ليلي ونهاري ؟
أعطني نعمةَ أنْ أبكيَ ،
أن أغسلَ أحزاني وعاري .

II. حديث على الشرفة

ـ ١ ـ

ـ أَنشِدِ الشعرَ: هنا الآذانُ تُصْغي
لرنينِ القافيهْ.
شُدَّها، شُدَّ،
انتظرناكَ طويلاً
لسَماعِ الكلماتِ الصافيه.

ـ ربّما تَعْنونَ غيري:
شاعراً تَصْرخ فيه الموهبهْ.
(وأُصَلّي:
ربِّ أبعِدْ هذه الزلّةَ عنّي.
ربِّ جنّبْني سقوطَ التجربه.)

ـ لا تقلْ... إيّاك نَعْني.
فالمغنّي أوّلَ الأمر يعاندْ
كِبَراً. لكنّه في آخر الأمر يغنّي.

(وأُصلّي :
ليس في شعريَ شيءٌ
من فُكاهاتِ الموائدْ ،
ليس فيه طَرَبٌ ، رَصْف ،
عناوينُ جرائد .)

- ولمن يَلْتهبُ التصفيقُ في القاعة ؟
هاتْ ،
هاتِ ما عندكَ ،
تَفْديكَ الكؤوسْ
ألّتي دارت على القوم
ودارتْ في الرؤوس .

(يا أحبّائيَ - شعري
صُغْتُهُ من خَفَقات القلب ، من حبّي لكم ،
شَرَّعْت صدري
نَهَراً تأوي العصافير إليهِ ،
وبه يَبْترد الصيف الحزينُ .

آهِ من يَسْمعني إنْ لم تكونوا ؟)

ـ ٢ ـ

لستُ من بيروتَ : ما بعت كلامي
تاجرَ السوق ، ولم أمدح أميرْ .
لم أكن خَتْماً على جوهرة التاجرِ ،
أو مَرْثيّةً كوفيّةَ النقشِ
على قبر الأميرْ .

لست من بيروت : لي وجهي وصوتي ،
وليَ الأرضُ ، أُحسّ الأَرضَ أَعصاباً ،
إلى الأعصاب مشدوداً أسيرْ .

لست من بيروت ، في الشارعِ
أو خلف ستارات البيوتْ ،
نملةً أو عنكبوتْ .

لست من بيروت يا سيّدتي ،
آهِ آقبليني

ليلةً في حضنك الدافىء: قلبي
جمرةٌ، وجهيَ نارْ.
آتياً طيراً من الغاب، آقبليني،
من نهايات البحارْ،
ليلةً، كي تَقْبلي كلّ الليالي،
إنّ أعراقي لأطفالك دربٌ وابتهالي.
ليلةً واحدةً، كلَّ الليالي.

- ٣ -

- من أنا كي تَسْمَعيني؟

(هكذا دارَ الحوارْ.
كانت الشرفة تهتزّ آرتعاشاً
تحت حرّ الصيف، والخمرُ تُدارْ.
حَلَقاتٌ حَلَقاتْ.
ضجّةٌ، رَقْصٌ، أنينٌ
صاعدٌ من لهب الأحشاءِ،
من عمق الجوارحْ،

من خلايا الحسّ: هذا
يتحرّى دربَهُ، هذا يصافح.
والّذي جاء ولم يُدْعَ،
آلّذي ما جاء... ضاعتْ
كَلِماتٌ وتلاشت كلمات.)

- من أنا؟ من أنتِ؟

- لا يعرفني غيرُ الّذي يَقْرأ صوتي
وتقاطيعَ جبيني،
والّذي يلبَس وجهي وجفوني.

- أنتِ؟ هذي البسمةُ

- آلْمستسلمهْ.
هكذا قلْ... أنا قصرٌ موصَدٌ
مفتاحُه في كلمه.

هل قَرأْتَ اليومَ أخبارَ الاشاعاتِ،
عناوينَ الجرائدْ؟

- أنا لا أهتمّ بالعنوان يا سيّدتي :
وقتي ضئيلٌ .
ولذا أقرأ أخبارَ الجرائدْ
دون عنوانٍ .
أُضيف الشيء من عندي .

- غَريبٌ .
ما الّذي أغراكَ في البحث معي :
أقراطيَ الحمراءُ أَمْ جسمي المعطّرْ ؟
يُقْرأ المكتوبُ من عنوانهِ ،
يُفْهَم أكثر .

- أنا يا سيّدتي تُعْجبني أقراطُكِ الحمراءُ
والعطرُ الّذي في أُذُنيكِ ،
سيّما حين أُقاسي
لوعةَ الغربة ، صحراءَ الوجوهْ .
ههنا وجهٌ أليفٌ
أمّحي فيهِ ، أتيهْ .

ودَخَلْنا . لم يعدْ للنطق معنى .
صار شيء آخرٌ يَنْطق عنّا :
زَفَراتُ الحَلْقِ ، أُذْناكِ ،
وهذا النفَسُ الساخنُ يَسْري فيهما ، تَنتفضينْ .

آهِ يا سيّدتي !
مَنْ أنتِ حتّى تعرفيني
غيرَ أسمائي وشكلي ؟

كنتِ وجهاً آخراً أضيقَ
من أرضي البعيدهْ .
كنتِ شكلاً آخراً ، كنتِ آمتداداً
لمدى الصحراء ،
صحراءَ جديده .

لم تكن أُذْناكِ للسمْعِ ،
فماذا تَسْمَعين ؟

III. الطبل والصَّدى

- ١ -

هذه القطعانُ ، ياربّ ، الّتي من أَجْلها
أَحرقْتُ أيّاميَ ، دَنّسْت كلامي ،
كلُّها ماتت وصارتْ
دودةً تنخر لحمي وعظامي ،
غصّةً في الخبز والملحِ
وسّماً في الطعامِ .

كيف لي أن أُرجع البيتَ ركاماً ،
ثمّ أبنيه غداً فوق الركامِ ؟

هذه القطعان ، ياربّ ، ومن ذا ؟
ولمن أحرقْتُ ليلي ونهاري ؟

أعطني نعمةَ أنْ أبكيَ ، أن أغسلَ
أحزاني وعاري .

- ٢ -

كنتُ أدري أنَّ في أحشائهم للموت مصنعْ ،
جَوْفُهم هوّةُ سوءٍ ،
حَلْقُهم قبرٌ مشرَّعْ .

أنّهمْ ينتظرون الفجرَ ، يَقْضون الليالي
في بيوتِ المومساتْ .
يَطْلبون السترةَ : « آسْترنا
من الأعْيُن ، رُدَّ النظَرات ،
أَبْعِدِ السقْطةَ ، جنِّبْنا البَليَّةْ . »

ومع الصبح يعودون إلى المكتبِ ،
يَدْعون إلى المؤتمراتِ الصحفيّةْ .
يقذفون التُهماتْ ،
يبصقون الكلماتْ

في وجوه الطغمةِ الأعداءِ ، لكنْ
يُخبْئون الكلماتْ
كلَّها بين أهلّهْ .

ولماذا ؟
« لستُ مسؤولاً . أنا ما قلتُ هذا . »

ربّ ، قوّمْ زَلّتي ياربّ ،
جنّبْني المذَلّهْ .

شعريَ الدرُّ ، الدمُ النابعُ في قلبي ،
فلا أَطرحُهُ
لخنازير الموائدْ .

عمرُهم صار قُصاصاتِ جرائدْ
وعناوينَ جرائدْ .

أتقرّاه ، أراهُ ،
لامساً أطرافَه القصوى ، مَداهُ ،
شاهداً :
أشكالُه المطليّةُ الأَوْجُهِ
لم تَستُرْ مآسي محتواهُ .
ليست الآذانُ للسمْع هنا ،

والأعْينُ الكحلاءُ لا تبصر غيرَ الكحلِ فيها ،
تَرْمق الشيءَ ولكنْ لا تراهُ .

كلّ شيءٍ ههنا كالوهم بائدْ .
كلّ شيءٍ ههنا صار عناوين جرائدْ .
كلّ شيءٍ عندنا شيئانِ :
طبلٌ وصَداهُ .

IV. بين جيلين

كنتَ تمشي فوق سطح الأرضِ ،
تَسْتشرف هذي المهزلهْ .
لم تَمُتْ؟ أَبْصرتَ مَن ماتَ ،
تمنّيتَ مراراً أن تموتْ .
لم تكن رجلاكَ في الأرضِ ،
ولا عيناكَ في الأبعادِ . كانتْ
فوق عينيكَ بيوتُ العنكبوتْ
تَحْجب الشمسَ : هنا كهفٌ سحيقٌ
مُفْرَغٌ ، إلاّ صدىً
يَرْتَجُّ ، يعلو ، يتصادى ،
هوّةٌ لم تستقمْ بين أقاصيها صِلَهْ .

كنتَ تمشي . لم تكنْ عيناكَ لوناً ،
أو مدىً يمتدّ ، يأتي بَعْدَ حينْ .

لم تكن تَشْهد للآتي
الّذي يَحْيا مع الحاضرِ ،

يَمتدّ على جسرٍ من الأمس مكينْ .
حَفَّرَ العمرُ خُطاهُ
فوق عينيكَ ، خطاياهُ
آلّتي حاولْتُ أنْ أقرأها ،
كانت رماداً ،
ودماً أسودَ . لم تَعْرقْ عُروقُ
الأرض في وجهكَ هذا
الأصفرِ المضنى اللعينْ .

كنتَ أحياناً تصلّي
صَلَواتِ الضائعينْ .

كنتَ تَسْتهدي ، تجرّ العمرَ ، تَجْري
بين جيلين ، وتجترّ السنين .

مُتَّ . ما علّمْتَنا شيئاً عن الموتِ . وكانت
فوق عينيكَ من الدهرِ
خُيوطٌ وخُطوطْ .

متَّ . لم تتركْ لناحتّى السقوط .

ها أنا أنعيكَ للقومِ :
كبيرُ القوم ماتْ .
جَلّلوا الأفراسَ، قوموا ،
وأعِدّوا الخمرَ والطيب لميْتٍ ،
وأعدّوا الزخرفات ،
والأكاليلَ ، ولا تَنْسوا المراثي .
من سَيَرْثي أوّلاً كي نَتْبعهْ ؟

« كان شهماً . وادعاً عاش مع القومِ .
وولّى في دعَهْ .
رحمَ اللهُ زماناً أطلعهْ . »

٧. الأرض الخراب

سقطَ القناعُ، قناع غربتهِ،
وعدت إليكَ يابلدي الحبيبْ.
سقط القناع عن الغريب.

كالسهم ترشقني رؤاي إليكَ،
أَخترق الهواءْ.
تتدحرج الأحجار تحت خطاي، أحجارُ الفضاءْ.

ورأيتُ أنهارَ الدماء تسيلُ،
يحترق الترابْ
في نارها، يُضْحي خراب.

وشممتُ رائحةَ الدماءْ،
ريحَ المزابلِ حين بَلّلها الشتاء.
ورأيت أطفالاً يَجرّون الشقاءْ،
والصبحُ في أبصارهمْ
جُرْحٌ تَرمَّد وآنْطفاءْ،

يَسْتصرخون الموتَ : أنْتَ شِفاؤنا ،
أنت الرجاء .

ورأيت في الأرحام تَنْتفض الأجنّةُ :
لا نُريدُ الفجرَ مختنقَ الضياء .

ورأيت فخرَ الدينِ معتمراً حذاءْ .
ورأيت فخر الدين ليس له أمامٌ .
ورأيت فخر الدين ليس له وَراءْ .
ورأيت فخر الدين يمشي القرفصاء .

ماذا ؟ أتَنْزغل القلوبُ
ويمْصلُ الدمُ في العُروقْ ؟
والخبز يصبح علقماً
والملحُ سّماً ، والطريقْ
جسْراً تَهَدَّمَ بيننا ،
جَسَداً تُحفّره الشقوق ؟

عاد الغريبُ ممزَّقاً ،
يمضي ويبحث من جديدٍ عن قناعْ

يُؤويه من غضب الهلاكِ ،
يَقيه منسرَب الضياع .
صار الغريبُ معلّقاً ومطلّقاً ـ
ألأرضُ تَرْفضه وترفضه السماءُ .

IV. الخبز والملح

وأراكم يا أحبّائيَ من خلف البحارْ
حقلَ قمحٍ ، شجراً يُزْهر، يَخْضرّ،
بيوتاً
يلجأ الليلُ إليها والنهارْ.
والعصافيرُ تغنّي وتغنّي
في زواياها ، وتَبْني
بَعْضَ أعشاشٍ لها في الدارِ،
في الردهة ، في ثقب الجدارْ.

وأنا في غربتي .
- من أنْتَ؟
- إنّي . . .
بلدي حيث يعيش الوُدَعاءْ .
بلدي حيث يُمَدُّ الخبزُ والملحُ :
تعالوا ياجميع الأرضِ ،
ألْقوا عبئكم عندي ، آسْتريحوا .

إنّ بيتَ الضيقِ كالأرض فسيحُ ،
تَدْخل الشمسُ إليهِ ،
يَلْبس الشمسَ رداء .

جسدي هذا ، دمي هذا ـ
كلوا منه ، آشْربوا ،
ألأرضُ تعطي ،
ثمّ يزداد العَطاءْ .
إنّ بيتي ضيّقٌ .
لكنّه يكفي جميعَ الأصدقاء .

ياصديقي ، مؤلمٌ بابُ حياتي ،
ضيّقٌ بابُ حياتي ،
ولذا يَهْرب منه الأغبياءْ .

مؤلم بابُ حياتي ،
فأنا سَلَّمْتُ ذاتي
قبل أن أعرف ذاتي .
ضيّقٌ . لكنّني سمّيتُه بابَ الرجاءْ .

وأراكم يا أحبّائيَ من خلف البحارْ .
ليس في عينيَّ إلاّ ضوؤكم ، حبّي لكم .
رَصَّعْتُكم تاجاً لرأسي ،
فضّةً ، إكليلَ غارْ .

ألملايينُ الّتي ضَيّعْتُ دربي
بينها عبر محطّات القطار
نسَخٌ بَعْضٌ عن البعضِ ،
تماثيلٌ من الشمع ، رُكامٌ
يابسٌ يَسْقط في سوق الخضار .

ليس فيها مثلكم من لَوّحتْه الشمسُ ،
من قبَّلَه ضوءُ النهار .
يورق العوسجُ في بيروت ، حتّى في الحجارْ ،
أملاً يأتي إلينا .

نعمةُ الشمس هنا حَلّتْ ، فلن نكفرَ
بالشمس الّتي حلّت علينا .
وأراكم يا أحبّائيَ فجراً ،

واحةً أنقى من الفجر، وبَرْداً وسلامْ .
وأنا في غربتي، في غرفتي الموصدةِ الأبوابِ،
فيروزٌ تغنّي كلَّ ليلهْ،
ساهرٌ وحديَ، والناسُ نيامْ :

« أَرْجعي يا ألفَ ليله . . . »
« سائليني حين عَطّرْتُ السلامْ . . . »

هبّت الريح هنا .
سَلّمْتُها صدري المغنّي :
مزّقيهِ .
وآذهبي نحو بلادي، وانثريهِ
في الروابي، في البيوتْ .

وسألْتُ الريحَ أن تنطقَ عنّي .
فضّةُ النطقِ ولا ماسُ السكوتْ .

وغداً حين يعود الخبزُ والملح إلينا، ونعودْ
أصدقاءً، ويذوبُ
الصخرُ في عينيَّ، والنهرُ يَسيلْ،

سوف أَستجمع ذاتي ، وأعود
نحو أرضي ، ماسحاً عن وجهها الليلَ الطويلْ .
وأُغَنّي وأُغَنّي
للروابي ، للبيوتْ .
وعلى حبّي لكم سوف أُغنّي ،
وعلى حبّي لكم سوف أموتْ .

مملكتي
ليست من هذا العالم

مملكتي ليست من هذا العالم

I

قلتُ لنفسي، قالتْ لي نَفْسي:
منْذُ زمانْ
لم يَطْرقْ بابي كانونٌ،
لم يَسْكن أجفاني نيسانْ،
لم ألبسْ غيرَ ثيابي: لم يَتجسّدْ
في جسدي الانسان
منذ زمانٍ، لا أَذْكرُ.
لكنّي أذْكر، منذ زمانْ.

سوف أموتُ
في هذي اللحظة، أو في أُخرى،
سوف أموتُ.
ولسوف تَدقّ الحزنَ دمشقُ،
وتَزْحف خلفي بيروتُ:

« أكملْتَ السعيَ كقدّيسٍ،
ورَفعْتَ الصوتَ كصوتِ نبيٍّ.

جاهَدْتَ جهاداً حَسَنا ،
فلكَ الذكرُ الأبديّ . »

لكنّي أعرفُ ـ
(كلٌّ يَعْرف دينونتَه كالديّانْ)
لم ألبس غير ثيابي :
لم يتجسّد في جسدي الانسان .
منذ زمانٍ ، لا أذكرُ .
لكنّي أذكر، منذ زمانْ .

II

« أبانا الذي في السمواتِ . . . »

كان كلاميَ هذا النهارْ
ككلّ نهارٍ، جواهرَ تَبْهرُ
من نورها الحاضرينْ ،
تضيء لهم كلَّ دربٍ ، تصير يقينْ .
غداً عندما تنتهي كتبي
يقولون : هذا فَمُ الذهَبِ .

« أبانا الّذي . . . »

(ما الّذي يتأرجحُ فوق الجدارْ ؟)

« في السمواتِ . . . »

ماذا ؟ السمواتُ ؟

ماذا ؟أبانا ؟

إبتعدي عنّي أيّتها الصورُ الشيطانيَّهْ .

لو تكونُ ، أبانا .

لو تكونُ أبانا .

إبتعدي عَنّي ، آبتعدي أيّتها الصورُ الشيطانيّه .

صوتٌ آتٍ من بلد الموتْ .

سوف تموت ، يقول الصوت .

وَجْهُكِ هذا ، أعرفُهُ :

قمرٌ يَسْكن في أُغنيّهْ .

قمرٌ يَسْكن في أُغنيَّةٍ

وجهُكِ الآتي على عينيّ . لكنْ

خَبِّريني ما رأيتِ
في بلاد الموت؟ قولي كيف متِّ؟
وهل الموتُ عَذابْ؟
وهل القلبُ الّذي أعطانيَ الحُبَّ،
اليدُ المانحةُ الرحمةَ،
والعينُ الّتي كانتْ ملاذا ـ
كلُّها صارتْ ترابْ؟

أنْتِ، ياقاسيةَ القلب، لماذا
متّ خَطْفاً، دون إنذارٍ؟
فلو أعْطيْتِنيهْ،
كنتُ جَمّعتُ لكِ الزنبقَ أبراجاً،
صَنَعْتُ الضوءَ تاجاً،
قبل أنْ يأخذَكِ الموتُ السفيهْ.

«أبانا الّذي في السمواتِ...»

ماتوا
كلُّهم، كلُّ الّذينْ...

آهِ، كَفّي عن جفوني
ياوجوه الميّتينْ .
إذهَبي عنّي، آذْهبي . لا تَتْبعيني .
ودَعي هذي السنين
بين أطفالي وبيني .
وآذهبي أنتِ، آرْجعي حيث أتيتِ .
إذهبي، لا تُخْبريني ما رأيتِ .
واتركي سرّك في القبر دفينْ .

أين تمضين، إلى أيّ قَرارْ؟
وَجْهُكِ الطالعُ من عينيّ صارْ
صورةً تَنْشقّ فيها
طرُقُ الموتِ، ويَنْشقّ الجدارْ .
« أبانا الّذي في السماوا . . . »

غداً سوف أُملي دروساً
تقول ما كَتَبَهُ العِبادْ
في النسْك . في العبادَهْ،

في وحدة الوجود، في حرّيّة الارادهْ،
في الكونِ والفَسادْ.

صار الكِتابُ في يدي هوّةً
أُبصِر فيها وجْهيَ النائي،
والأمسَ، والطفلَ الّذي ضيَّعَ
آلأمسَ، وضاعتْ كلُّ أحلامِهِ
في كتبٍ كالريح صفراء.

صار الكتابُ في يدي غابةً
ترابُها دمعي، وأشجارُها
الخضراءُ قاماتُ أحبّائي.

« أبانا الّذي . . . »

حين ولّى
زمنُ الشعرِ عنّي
من زمانٍ .

حين ولّى زمنُ الشعر، نَظرْتُ

لم أجدْ غيرَ رمادٍ .

فانْتَظرتُ
تحت سقفِ الأُغْنيهْ
ألّتي كانتْ صلاتي .
علّها تَنْهض من بين ركامِ
الكتبِ الصفراءِ في رأسيَ .

آهٍ لو بَقِيتُ
أكتب الشعرَ هنا ،
يَكْتبني نوراً ، نذوراً ، أدْعيَه ،
لاسْتحالتْ كَلِماتي
أرْزَ لبنانٍ ، عبيرَ الأوديَهْ .

« أبانا الّذي . . . »

رُدَّ عن أُذُنيّ الكلامْ .
أَعْطِني أنْ أنامَ إلى الصبْح
ملْتحفاً جانحيكْ .

ولْتكن طَلَباتي إليكْ
أُمْنياتُ أبي ودُعاءاتُ أُمّي .

(سوف يأتي كحلْمٍ .
سوف يأتي وأنتم نيامْ .)

أبانا . . .
أبانا . . .

III

صباحَ الخيرِ .
نَشْرتُنا الصباحيَّهْ :
قَضى الجبّارُ أن يتأهّب العسكرْ
على الساحات والطرُقِ العموميَّهْ ،
ليمسح عن جبين الأرضِ
من عاداهُ واسْتكبرْ ،
ويكتبَ بالدم المنصبِّ ،
بٱسْمِ الشعبِ :
حرّيّهْ .

مَنْ هو الشعبُ هذا ؟

أَرْفع عينيّ إلى الجبالْ
هناك حيث غيمةٌ عالقَهْ
في وَرَقات الشجرْ،

والشمسُ نيسانيّةٌ عاشقه
تأوي إلى صنوبرٍ، عندَهُ
ترتاحُ يوماً من عناءِ السفرْ.

أُحبّها، أُحبّ هذي الجبالْ
ترابَها وماءَها والحجر.
أُحسّ أنّي في ثراها يَدٌ
تعلو هواءً، تتراخى مطرْ.

وحين أمشي فوق آكامِها
مسترسلاً، والكونُ عند السحر،
تنساب ملء جسدي رعشةٌ
تطير بي إلى مدىً والِهِ

أَبْعدَ من بُعْد خيالي مَداهْ ،
أُبصِر فيه كلَّ طيفٍ سَرى
نوراً ، أرى حيث نَظَرْتُ الاله .

تَرْتَسِم الأرضُ أمامي ابتهالْ .
تومئ لي . أسْمع أصواتَها .
لأنّني أُحبّ هذي الجبال
تحبّني ، تُظْهِر لي ذاتها .

« صباحَ الخيرِ »
« حرّيّهْ »
« ليمسح عن جبين الأرضِ »
« باسم الشعبِ »
« حرّيّهْ »

مَنْ هو الشعبُ هذا ؟

تحتَ ليمونةٍ جلسوا في المساءْ
يحرقون الثرى ، يَشْتمون السماءْ .

سوف نَهْدم هذي البيوتَ
على أهلها الأشقياء
قاتلين الّذي خان أُمّتَهُ والبلادا .

كان نيسانُ يولد في البرتقالْ
زهرةً زهرةً .
ووَراءَ التلال
قمرٌ عاشقٌ يتهادى .

من هو الشعبُ هذا ؟

شعبُ قيصرْ .
قابعٌ تحت قبّةِ قيصرْ .
زاحفٌ خلف رايةِ قيصر .

وعلاما ؟
شاءَ أنْ يَمْنَح الناسَ ،
يمنحَ كلَّ الممالكِ
عدْلاً وِحرّيّةً وسَلاما .

ظَنَّ أنّ القَداسَهْ .
تتحقّق في خطبةٍ ، في شِعارْ .
جَسَدُ الربِّ فُتّتَ بين يديه ، وصارْ
جَسَداً من سِياسَهْ .

هذا شَعْبٌ ؟
هذا عَفَنٌ ،
كَفَنٌ مَحْضٌ ، موتٌ محض .
يَمْضي يتوالدُ أكفاناً
فوق الأرضِ وتحت الأرضْ .

وأنا أَحمل تاريخي ، أَركض
بين الشرقِ وبين الغربْ .

وأُنادي : يا ملكَ العالمِ ،
لا تحسبْ أنّي بين الشعبْ .

وأُنادي :
يا ملك العالمْ ،
مملكتي ليست من هذا العالمْ .

IV

واحدٌ منكمْ . ولكنَّ بلادي
ليسَ من هذي الديارْ .

ولذا لم أكنزِ الفضّةَ في الأكياسِ ،
لم أذهبْ إلى الفندق في الأعراسِ ،
ما رصَّعْتُ ثوبي بالنضارْ .

كنتُ أمشي ، رافعاً حُزْنيَ ليلاً ونهارْ
فوق رأسي ،
قارئاً حزنيَ في الأمطارِ ،
في الأنجم ، في موج البحارْ .

إنّ حزني صورةٌ للأرض ،
تاريخٌ ، علامَهْ .
حزنُ من يأتي إلى أحبابهِ
فيرى الغربةَ صحراءَ على أجفانهمْ ،
ويرى الطوفانَ ، لكنْ لا حمامَهْ ،
ويرى الموتَ بلا صلبٍ ودفنٍ وقيامه .

آهِ، كَمْ هذي العصافيرُ الّتي
تَقْفز من غصنٍ لغصنِ،
آهِ، كم أقْدَس منّي.
والينابيعُ الّتي تَنْهض من قلب البراري،
ورياحُ الثلجِ، والثلجُ، وأبعادُ الصحاري،
وصرير النار، والليلُ الذي يُطْبق جفني -
كلُّها أقْدَسُ منّي.

أنا أخطأْتُ إليكْ.
وصَنعْتُ الشرَّ قُدّامَكَ،
سَمَّرْتُ ذراعيكَ، يديكْ،
علّني أهْرب من عينيكَ، أمضي.
غيْرَ أنّي لم أَجدْ في كلّ أرضِ
غيْرَ مَسْراكَ ومرمى قدميكْ.

واحدٌ منكم. ولكنّي اكتَشَفْتُ
تحت وجهي مهدَ طفلٍ
وبقايا أبجديَّهْ،

وعرفتُ
أنّني المولودُ والموتُ الهويّه .

إنّني شاهَدْتُ في الأشياءِ مَوْتاً :

ألروابي ستموتْ .
والخوابي ، وخمورُ الكرم
في هذي الخوابي ، ستموت .
كلُّ شيء سيموت .
وأحبّاءُ حياتي وأنا ، سوف نموتْ .
ولذا أحبَبْتُهم من زمنٍ . أَدْمنت حبّي ،
وتعاطيتُ السكوتْ .
ولذا مملكتي ليست من العالم ، بيتي
ليس من هذي البيوت .

إنّ حزْني فَرَحُ الأرض ، علامَهْ ،
حزنُ من يَسْتشرف الموتَ صليباً وقيامه ،
ويَرى في الأرض ظلَّ الملكوتْ .

www.alkottob.com

صَبَاح يَوم أحَد

صباح يوم أحَد

(١)

ـ « يا رَبُّ ارحمْ، يا ربّ ارحمْ . . . »

ـ لا تخطىء في عَدِّ المرّاتْ:

إنْ كانت أزْوَدَ،

لن تجدي فينا الكلماتْ،

أو كانت أنْقَصَ،

فالباري لا يترحَّمْ . . .

يا ربُّ آرْحَمْ!

(٢)

ليستْ هي المرّة الاولى . فمن صِغَري

تجتاحُني أرجلُ الناس الذين أتوا

لكي يروا تاجك البرّاقَ، جبّتَكَ

الكبرى، عصاكَ، فهذي تملأُ البَصَرا .

ليست هي المرّة الاولى . . . وأنْتَ ترى!

آهِ، لو آنّي بقيتُ اليوم ملتحفاً
صمتي، أرى الغَدَ والأمسَ الذي عَبَرا .
ولو حَمَلْتُ الى الأطفالِ اغْنيةً،
ولو خَرَجْتُ الى الغاباتِ، أبحثُ في
أشجارها عن لغاتٍ بَعْدُ ما قُرِئَتْ،
وتحت أوراقها أستنطق الثمرا ـ
لكنتُ صلّيتُ ملءَ القلب، وارتسمتْ
أيقونتي وَجْهَ طفلٍ مَرَّ أو حَجَرا .

(٣)

فلنعتزلْ:
أنتَ الى ديارٍ،
أنا الى ديارْ .
الأرضُ هذي كالرؤى فَسيحَهْ .
من أوّل النهارْ،
كلٌّ مضى في دربهِ ينادي

إلهَهُ ، كلُّ رأى مسيحَهْ .

شهادةً أطلبُ ،
لا كلاماً .
ورحمةً أُريدُ ،
لا ذبيحه .

(٤)

الشعرُ ترجمانْ
يَصْنع من ضوءِ المدى حُروفَهْ
قصيدةً . وليس مهرجانْ
يمرحُ في أرْوقَة الخليفه .
كذلك الصلاةْ :
تترجمُ القلبَ الى اعترافٍ ،
تحوّلُ السرَّ الى حَياة ،
ليس الى إعلانْ
لزيجةٍ أو مأتمٍ ، يُنْشَرُ في صحيفَهْ .

(٥)

ـ هل تعلّمتَ الخطابَهْ ؟

ـ لا .

ـ إذَنْ لن تصبحَ الكاهنَ ،

لن تصبح للشعبِ رئيسَهْ .

رأسُكَ الأعزلُ لا يَلْفت أنظارَ ذُبابَهْ .

صوتُكَ الخافتُ لا يَرْفَع للناس كنيسَهْ .

(٦)

كفى . . .

كدتُ أهوي من التعَبِ ،

ولكنّ حولي عيوناً بصيرَهْ .

سأمضي الى حيثُ بيتُ أبي ،

ففيه ديارٌ كثيره .

هناكَ أُسبّحُهُ بلُغاتٍ

تعلَّمْتُها من غيوم السماءْ ،

ومن وَرَقِ الحور فوق السواقي
وعَوْدِ الحساسينِ عند المساءْ .

سأمضي ، رفاقيَ ، ليس لأنّي
نقيٌّ . . .
أنا أَخْطَأُ الخاطئينْ .
ولكنّني عالمٌ بذُنوبي ،
وحُزْني أماميَ في كلّ حينْ .

أربع قصائد، ١٩٧٠

أربع قصائد، ١٩٧٠

مرّة في النهار

مَرّةً في النهارْ،
في النهارات أو في الليالي،
مرّة في الطريق البعيدهْ،
تَفْتح الشمسُ أهدابَها،
تكتُب الشمسُ فوق الغصونِ وفوق الحجارْ،
فوق ماءِ الينابيعِ، للعاشقين قصيده.
هل تكلَّمَتِ الشمسُ يوماً إليكْ
وهْي تَسْقط في غابة الشفَقِ؟

«يا صديقي، لماذا
تَقْتفي الموتَ؟ قفْ لحظةً
في الحضور ومُدَّ يديك،
عانق الأرضَ، مدّ يديكْ
لزهور الربيع الجديده.»

حين صارت لغتي

حين صارت لغتي
رئةَ الأرض، رأيتُ
تحت ثلج الكلمهْ
وَجْهَ نيسانَ يغنّي
تحت ثلج الغابة المستسلمه:

« ها أنا من أُفُق الشوق أتيتُ. »

كنتُ أمشي في الحديقَهْ
عاشِقاً أَبحث عن قافيتي،
حين صارتْ لغتي
رئةَ الأرض. سَمعْتُ

شجراً يورقُ تحت الثلجِ،
يَخْضرُّ، يصيحُ،
وعصافيرَ تبوحُ،
وصدىً شَقّ إلى قلبي طريقَهْ.

حينما حَفَّرَ وجهُ الأرضِ
في وجهي خُطوطَهْ،
فاحَ عطرُ الأرض من أُغْنيتي،
وتحسَّسْت على وجهي الخريطه .

قف في الحضرة

قِفْ في العينين ولو مَرَّهْ ،
قف في الحضرهْ .
حاولْ أن تنسى كلَّ لغاتِكَ ،
أن تَنْسى الكتبَ العشْره .

ما أضيق هذا العالَمَ في قاموسكَ ،
في الكتب العشره .

هل في قاموسك همُّ العشبِ
وهمسُ الزهرة للزهرهْ ؟
وحنينُ الطير إلى اليَنْبوع ،
وشمسُ الأرض المخضرّه ؟

قف في العينين ولو مرّه .
وتَعلّمْ كيف تسمّي الشيءَ ،
وعلّم عينَك أن تَقْرا .
ألحبُّ له لغةٌ أُخرى .

أقرب درب

ما لعينيّ تَنْظران الثواني
تارةً ، ثمّ تنظران الحقيبَهْ ؟
فأرى ساعةً هناكَ تولّي ،
وأرى غربتي هنا مكتوبه .
ساهرٌ أَرْقب النجومَ ، وقلبي
عندها ، فالنجومُ مثلي غريبه .
وأُصلّي : لعلّ واحدةً تَهْوي
بسِرّي . وَضَعْتُ تحت لساني
كلماتٍ : إلى بلادي آحْمليني ،
واطرحيني هناك أُغنيةً ، ضوءاً ،
سلاماً ، دفئاً ، هناك اتركيني
أَمسح الجرحَ عن جَبين بلادي
بجبيني ، بالدمعة المسكوبَهْ .

لا تَنوحي عليّ يا أُمِّ إنْ شاهَدْتِني
عائداً أجرُّ صليباً

بآسْم أنْ يَطْلع النهارُ على أَرضي
وأن تُخْصِب الحقولُ الجديبه .

لا تنوحي عليّ يا أُمِّ إنِ شاهَدْتني
عائداً يَجرّ صليبَهْ .

وآسْلمي لي . عيناكِ أقربُ دَرْبٍ
أَقْتفيها إلى بلادي الحبيبه .

تصميم وإخراج

الفنان عجاج العراوي

١٥ / ٨١ /٢٣ /٢٨٦